كلمة لفضيلة شيخنا الفقيه

أبي عبد الرحمن جميل الصلوي

حفظه الله تعالى ورعاه ونفع به

ألقيت في اجتماع أهل السنة والجماعة

في دار الحديث السلفية بالضالع

بتاريخ ٢٤ شوال ١٤٤٥هـ

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيباً مباركاً فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

فنحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً أن يسر لنا زيارة إخواننا واللقاء بهم والحديث إليهم والسماع منهم فكم نحن مسرورون بما يسر الله عز وجل بهذه الزيارة وبهذا اللقاء، وشكر الله عز وجل لأخينا الشيخ الفاضل أبي عبد الرحمن رشاد على ترحيبه وحسن استقباله وإكرامه لإخوانه، وشكر لإخوانه المعينين له على ذلك.

وشكر الله لأهل هذه البلاد الراعي منهم والرعية حفاوتهم بإخوانهم ومشاركتهم في نصر الدعوة إلى الله ودعاتها فينبغي أن يتذكروا هذه النعمة، وأن يزدادوا من الله قرباً، ومن الخير حظّاً، وشكر الله عز وجل لإخواننا المشايخ فقد التقينا بالكثير منهم وسررنا، وهذا الاجتماع جمعنا بهم، وكم كنا نتمنى اللقاء بهم فقد يسر الله عز وجل به وله الحمد والمنة، وقد سمعنا خيراً كثيراً من إخواننا المشايخ بعد صلاة العصر وهكذا نستفيد إن شاء الله مما سنسمعه من المشايخ الذين سيتكلمون.

فنسأل الله أن ينفع الجميع وأن يثيب الجميع وإن مما أذكر به نفسي وإخواني السامعين أعظم حق وهو حق الله تبارك وتعالى وهو عبادته وحده لا شريك له فهذا أعظم الحقوق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل وكان راكباً خلفه على حمار يقال له عفير فَقَالَ : " يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ؟ ". قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ : " فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " ذكرنا الحديث مختصراً فهذا الحق ينبغي على سائر المكلفين أن يعتنوا به تعلماً وعملاً ودعوةً وبذلاً من أجله إذ أنَّ سعادتنا بتحقيقه وعزنا وفلاحنا ورفعتنا في الدنيا والآخرة بالعناية به إذ أنه حق ربنا وخالقنا ومحيينا ومميتنا سبحانه وتعالى لا نحصي ثناءً عليه كما أثنى على نفسه سبحانه وتعالى، وما أكثر الآيات الآمرة به، وما أكثر الأحاديث الحاثة عليه فالله أمر به في آيات كثيرة منها قوله تعالى ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ وهكذا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دعوا إليه كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ .

فينبغي العناية بهذا الحق العظيم والحذر من ضده، وهو الإشراك بالله تبارك وتعالى فقد خافه الأنبياء، منهم إمام الحنفاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ وهكذا خافه نبينا صلى الله عليه وسلم فحذر منه في بداية دعوته، ومن ذلك "حديث أبي سفيان حين قال له هرقل : " مَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؟ قُلْتُ : يَقُولُ : اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا " رواه البخاري، وحديث أم سلمة في قصة من هاجر إلى أرض الحبشة وفيه " فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ : نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ ؛ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا... " رواه أحمد بإسناد حسن، وفي نهاية دعوته، فقد جاء عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم قالا : " لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ : " لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ " يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا. "،

وفي رواية " لَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ – أَوْ خُشِيَ – أَنَّ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا."، وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً " اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَد، لَعَنَ اللَّهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ " رواه أحمد وعبد بن حميد وابن سعد بسند حسن وله ما يشهد له، وجاء عند أبي واقد الليثي " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ . يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " سُبْحَانَ اللَّهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ " رواه الترمذي وغيره، والأحاديث في هذا كثيرة.

ومما يجب أن نتذكره، وأن نتفهمه، وأن نعقله ما أوجب الله عز وجل علينا من حقوق ما أوجب الله عز وجل على الراعي والرعية من حقوق، والثقلان الجن والإنس ينقسمون إلى قسمين راعي ومرعي فالله عز وجل يقول في من استرعاه : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ فيجب على كل من مكنه الله سبحانه وتعالى أن يعرف وظيفته وأن يقوم بها حق قيام ففي هذه الآية بيان وظيفة الممكنين، بيان وظيفة الرعاة لمن استرعاهم الله تبارك وتعالى ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ فيجب على من مكنه الله أن يقيم دين الله وأن يبذل قصارى جهده في تحقيق ذلك وأن يأمر بالمعروف وهو كل ما عرفه الشرع وحث عليه، وأن ينهى عن المنكر، وهو كل ما أنكره الشرع وحذّر منه، ويستلزم ذلك أن يتعلم المعروف حتى يأمر به وأن يتعلم المنكر حتى ينكره، وقال الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ فهذا أمر من الله للرعاة الذين مكنهم الله تبارك وتعالى أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها من الودائع والأموال والحقوق وإن حصلت لأحدهم خيانة فلا يقابل ذلك بالخيانة بل جاء من حديث الحسن عن سمرة " أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ "، وقد اختلف المحدثون في رواية الحسن عن سمرة فمنهم من قبلها مطلقاً، ومنهم من ردها، ومنهم من فصل فقبل حديث العقيقة، ورد ما سوى ذلك لأن الحسن صرح بالسّماع من سمرة في حديث العقيقة، وذهب ابن رجب وبعض المحققين إلى قبول ما عدا حديث العقيقة إما أن بقية الأحاديث تحمل على السماع إذ أنه قد سمع منه في الأصل، أو أن بقية الأحاديث تحمل على أنه أخذها من الصحيفة، وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ فهذا أمر من الله لولاة الأمر أن يحكموا بين الناس بالعدل وبالقسط ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ موعظة عظيمة وقال في هذه الآية في آية النساء ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ فهي موعظة فخمها الله وأشاد بها وامتدحها بقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ فنعمت الموعظة الآمرة بتأدية الأمانات والآمرة بالحكم بالعدل ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

يسمع الأقوال والأصوات ومن ذلك أقوال وأصوات الأمراء وولاة الأمر، بصيراً بكل شيء، ومن ذلك ما يصدر عمن أمرهم الله وكلفهم أصابوا أم أخطئوا أحسنوا أم أساءوا فالواجب تحري العدل والواجب إقامة شرع الله تبارك وتعالى والأمر به والحكم به والتحاكم إليه

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ أمر الرعاة والمرعيين وسائر المكلفين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم قال: ﴿ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾، وطاعة أولي الأمر من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقوله ﴿ مِنْكُمْ ﴾ أي: منكم معشر المسلمين، أما من كان كافراً أو منافقاً زنديقاً فلا طاعة له، إذ أنّه ليس من أولاة الأمر الذين يطاعون، وطاعة أولي الأمر تكون بالمعروف كما قال النبي عليه الصلاة والسلام " إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ " رواه مسلم كما في حديث علي رضي الله عنه وقال " لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ " فإذا أمر ولي الأمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر " عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ، وَلَا طَاعَةَ " فهذه الآية فيها أمر للمرعيين أن يطيعوا ولاة أمرهم من العلماء والأمراء والحكام يطيعونهم في غير معصية الله تبارك وتعالى تعبداً لله سبحانه وتعالى، ويصبرون على ما يحصل منهم من الاستئثار أو من التقصير في الحقوق، مع نصحهم والدعاء لهم وإعانتهم على البر والتقوى، وعدم إعانتهم على الإثم والعدوان، فهذا معتقد أهل السنة في ولاة الأمر وفقنا الله وإياهم وزادنا الله عز وجل وإياهم من فضله ورزقنا وإياهم السداد في الأقوال والأعمال، فإن حصل نزاع وخلاف، أمر الله عز وجل برده إليه وإلى رسوله أي إلى كتابه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم في حياته، وإلى سنته بعد مماته صلى الله عليه وسلم فقال ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ قل أو كثر صغر أو كبر ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ أن يرد المسلمون نزاعاتهم وخلافهم إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه علامة أي ردهم نزاعهم إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم علامة على إيمانهم قال الله تبارك وتعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

بخلاف المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون ضده فإذا دعوا إلى الله ورسوله نفروا ونفّروا وابتعدوا وصدوا غيرهم قال في بيان ذلك ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ • وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ • نْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ أي: إن كان الحق لهم في التحاكم إلى دين الله وإلى شرع الله طالبوا بذلك وأذعنوا، وإن كان عليهم نفروا، ونفّروا، ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ • إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ • وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ فهذه علامة المؤمنين التحاكم إلى شرع الله وتحكيمه، وتقديم طاعة الله على طاعة سائر المخلوقين وعدم تقديم شيء بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه كما قال سبحانه ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ وطاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام من طاعة الله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فالواجب علينا معاشر المكلفين رعاة ومرعيين أن يعرف كل أحد وظيفته وأن يقوم بها حق قيام إذ أن الله سائله عن ذلك " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ " فكلٌّ يقوم بما أوجب الله عليه من الحق، وكلٌّ يقوم بما أوجب الله عليه من حسن الرعاية، وهذا هو سبيل تمكين العبد وسبيل تسديده وما أحوجنا أن ندعو الله كثيراً أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يرزقنا الهدى والسداد في الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ونسأل الله عز وجل أن يمن علينا وعليكم وعلى سائر المسلمين بالتوفيق والسداد ونسأله سبحانه وتعالى أن يعيذنا من شرور أنفسنا ونسأله سبحانه وتعالى أن يعيذنا من شرور أسماعنا وأبصارنا وألسنتنا وقلوبنا، وسائر شهواتنا، إن ربي لسميع الدعاء، أكتفي بهذا القدر، وأترك المجال لغيري، وجزاكم الله خيراً وبارك فيكم.